الإخبات

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

الإخبات:

قال تعالى: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34)}[الحج]

ثم بيَّن سبحانه وتعالى المقصود بالمخبتين فقال:

{ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (35)}[الحج]

وقال سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (23)}[هود]

فما هو الإخبات ؟

الإخبات في اللغة: مصدر أخبت،وتدل مادة (خ ب ت)في الأصل على المفازة لا نبات فيها أوعلى المطمئن من الأرض،المكان المنخفض.

_أما في الشرع فقيل: المخبتين هم المتواضعون أو الخاشعون.

فالشخص المتواضع أو الخاشع يُقال عنه أنه شخص مُخبت،وهذه الصفات يُحبها الله عز وجل ويُحب صاحبها،فالتواضع وهضم النفس وعدم رؤيتها والخشوع من الصفات المحمودة...

_ولهذا قيل في القرآن:{ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} .

فمَن هم المخبتين؟

{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}

فما هو المقصود بوجل القلب؟

المقصود بوجل القلب هو التعظيم والخوف..

فالخوف إذا مُزج بالتعظيم فإنه يُسمى وجل،وبالتالي فإن الوجل يختلف عن الخوف فالجميع يخاف من الله سبحانه لكن المُخبت لديه خوف مع تعظيم لله عز وجل وليس خوفًا عاديًا(عوام المسلمين)،فالخوف مع التعظيم يمنع صاحبه من أن يتعدى حدود الله.

كل المعاني تدور حول التواضع والخشوع وهضم النفس..

فما أهمية هذا العمل(الإخبات)؟

أولًا:الإخبات هو عبادة من عبوديات القلوب ولكنها متعلقة بالجوارح، فالقلب يعمل وعمله التواضع والحب لله عزوجل إلى جانب الإقبال والتعظيم،كل هذا سوف يظهر على الجارحة ولابد، فمن غير الممكن أن يسكن في القلب شيء ويظهر العكس على الجارحة.

وهذا الكلام يُوضح خطأ الجملة التي يتداولها الكثير من الناس والتي يقولون فيها(قلبي سليم وبيني وبين الله عمار وهذا هو الأساس)في حين أن الناظر إلى حال مَن يقول هذا يجده قائم على المعاصي.

والمعنى الصحيح الذي ينبغي الالتفات إليه هو أن القلب إذا كان سليمًا فلابد أن يُترجم هذا الأمر على الجوارح فتتصرف هي الأخرى بطريقة تُوافق سلامة القلب(فكلُإناءٌ بمافيه ينضح)

فالخشوع والإخبات مكانه القلب لأن معناها كما قُلنا هو التعظيم والتواضع، فإذا مُلأ القلب بالتعظيم والتواضع لرب العالمين إلى جانب الخوف فإن هذا حتمًا سيخرج ويظهر على الخوارج في صورة إقبال على الطاعات وإعراض عن المعاصي، الحب لله ولرسوله ﷺ.

▪قول العلماء في الإخبات:

الإخبات ثلاث درجات...

1_الدرجة الأولى لا تتحقق إلا إذا توافرت ثلاثة أمور:.

[قوة تغلب الشهوة، إرادة تستدرك الغفلة، محبة تهوي بالسلوة]

أ_قوة تغلب الشهوة.

ب_إرادة تستدرك الغفلة.

ج_محبة تهوي بالسلوة، والسلوة تعني:رغد العيش .

أ_قوة تغلب الشهوة :

فالإنسان المخبت لديه قوة استغرقت كل شهوة محرمة عنده فلم يعُد لديه شهوة محرمة،وإذا ما استوفت قوة الإرادة لدى الإنسان كل شهوة محرمة(أي:إذا خرج الحرام من قلب العبد فإنه سينال جائزة جميلة ألا وهي طمانينة القلب)فالطمأنينة ستكون هي الجزاء، لأن طمأنينة القلب لا يمكن أن تجتمع مع المعصية في القلب الواحد.

◘ملحوظة:

ما هو سبب شقاء الناس فالجميع يشكو ولا يرضى بحاله فقيرًا كان أو غنيًا؟ السبب في ذلك يرجع إلى عدم طمأنينة القلب،حتى لو كانت الجارحة تؤدي طاعة الله لكن القلب غافل،عدم طمأنينة القلب هي السبب في شكوى الناس، فالإنسان يشكو حاله حتى لو تحقق له كل ما يتمناه والسبب هو عدم الطمأنينة.

_القلب المُخبت أصبح لديه قوة استوفت كل شهوة في كل جزء عنده فلم يبقى عنده أي شهوة حرام تُسيطر عليه أو حاجة تدفعه لفعل الحرام،فإذا ما مُنع من الحرام فإن طمأنينة القلب ستكون هي جزائه على هذا.

قال تعالى:

{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ(28)}

[الرعد]

◘يرد هنا سؤال .أنا أصلي وأذكر الله عز وجل ذهابًا وأيابًا وأقول الأذكار وبالرغم من ذلك فإن قلبي ليس مطمئنًا فلماذا؟

_الرد:

تُرى أين يكمن الخلل أو العيب؟

هل هو في كلام الله أم في مَن يذكر الله سبحانه؟

قطعًا الخلل أو العيب في الإنسان الذي يذكر الله بلسانه ولكن القلب بعيد كل البُعد عن ما يُردده اللسان فيُسبح بلسانه والقلب غافل، يحمد بلسانه والقلب مُنشغل، فالإنسان يحتاج إلى إعمال القلب قبل اللسان، والعكس فهناك مَن لا يذكر الله بلسانه فيجلس وهو صامت لا يتكلم ولكن القلب مُعلق بالله وليس هذا فقط بل أنه مُلأ بحب الله سبحانه،الأخير يظل صامتًا لا يتكلم ولكنه فجأة تخرج منه كلمة سبحان الله، نحن نحتاج إلى

نكون مثل هذا الأخير لأنه قالها بالقلب فاستشعرها وبالتالي نطق بها ولم يكن مجرد ترديد اللسان، شدة إنشغال القلب بحب الله والرسول أدى إلى خروج التسبيح والصلاة على النبي ﷺ، فصلاح القلب أدى إلى تحرُك اللسان بالذكر.

ومقام الطمأنينة إذا حصَّله العبد فإنه يجعل لديه قوة من العزم والاستقامة ويبعده عن تردد الخواطر بين الإقبال والإدبار، والرجوع والعزم، وتُصبح حياته كلها لله.

◘الإشكال :

أن الإنسان لا يعرف كيف يستقيم على الوجه الصحيح(فيسير ويتوقف، ثم يسير مرة أخرى ولكنه يتعثر في شيء ما فيجعله يسقط، ويستقيم على الطريق فترة ولكنه سُرعان ما يتراجع مرة أخرى) فلماذا لا يستطيع هذا الشخص أن يستقيم على الوجه الصحيح؟

لأن الإخبات غير موجود، ولكنه إذا حقق الإخبات فقد حقق مقامًا عاليًا في الدين وعليه أن يلزم ويظل متمسكًا بما وصل إليه ويسأل الله الثبات إلى أن يلقاه.

▪كيف للعبد أن ينتصر على الشهوة المحرمة؟

1_عليه أولًا: أن يعرف أن الصبر هو من أعظم أبواب الدين

2_وعليه أيضًا: أن يعلم أن الصبر على الشهوة أيسر بكثير من تحمُل عواقب الشهوة أو مما تُوجبه الشهوةمن عقاب

▪مثال:شخص تتملكه شهوة المال ويريد أن يحصل عليه أيًا كان السبيل الذي يحصُل به على هذا المال، فسولت له نفسه الأمارة بالسوء أن يسرق أو يرتشي أو يأكل مال الناس بالباطل، هذا الشخص أيضًا لديه ضغوط ممن حوله فهو يريد الإنفاق على نفسه وبيته وأولاده وزوجته.

لو أن هذا الشخص انفرد بنفسه لدقائق وفكر قبل أن يأخذ القرار بأخذ المال،فقال:وبعد أخذ المال والإنفاق وتلبية احتياجات البيت والأولاد فماذا

يحدث لو افتضح أمري وتم سجني فما الذي يحدُث لأولادي هل أخذ المال وتلبية الاحتياجات يُساوي الفضيحة والعار الذي سيلحق بي وبأبنائي.

_فإذا فكر الإنسان في عواقب الشهوة وما الذي سيحدث له نتيجة الوقوع فيها فإن الرجوع عنها سيكون أيسر بكثيرٍ جدًا من الوقوع في الحرام.

_ولكن الذي يحدث من الكثير هو غلبة الشهوة وسبقها للعقل، ولهذا فإنه لا يُفكِر، فهي تهجم على الإنسان فتُسيطر عليه وتجعله لا يُفكر إلا في اللحظة التي هو بصددها.

_إذن يجب التفكير عند الإقدام على أي معصية في النتيجة المترتبة فيما بعد، فالآن المعصية وبعدها تكون العاقبة،الوقفة مع النفس والتفكير(ثم أما بعد)يؤدي إلى حل الإشكال والتراجع عن السقوط في المحرمات.

▪عقوبات ما بعد إشباع الشهوات:

1_فالشهوات إما تُوجب ألمًا وعقوبة(السارق_الزاني_شارب الخمر)

يقول ابن الجوزي:(مَن رُزق قلبًا طيبًا ولذة مناجاة فليراع حاله وليحترز من التغيير، وإنما تدوم له حاله بدوام التقوى، وكنت قد رزقت قلبًا طيبًا ومناجاة حلوة، فأحضرني بعض أرباب المناصب إلى طعامه، فما أمكن خلافه، فتنازلت وأكلت منه فلقيت الشدائد، ورأيت العقوبة في الحال، واستمرت مدة، وغضبت على قلبي، وفقدت كل ما كنت أجده، فقلت :واعجبًا لقد كنت في هذا كالمكره، فتفكرت وإذا به قد يمكن مداراة الأمر بلقيمات يسيرة، ولكن التأويل جعل تناول هذا الطعام بشهوة أكثر مما يُدفع بالمداراة.

فقالت النفس:ومن أين لي أن عين هذا الطعام حرام؟

فقالت اليقظة:وأين الورع عن الشبهات!فلما تناولت بالتأويل لقمة واستحليتها بالطبع لقيت الأمرين بفقد القلب،فاعتبروا يا أولي الأبصار).

ابن الجوزي هو من علماء السلف يقول: أنه كان في حالٍ جميلٍ مع ربه(الإيمان ينقص ويزيد تلك عقيدة أهل السنة والجماعة)فقد كان يشعر بسعادة أثناء مناجاته لله سبحانه(لذة المناجاة التي يفتقدها الكثير من المسلمين والتي تُعد هي السبب الرئيس في عدم الاستمرار على الطاعات).

ثم دعاه أحد الأمراء إلى طعامه فلم يستطع الاعتذار،فذهب إليه ولكن بعد أن تناول الطعام(الطعام حلال)يحكي أنه وجد شدائد وتغير حاله وحال قلبه فتعجب،فقال في نفسه أنه كان مُكرهًا في تلبيته لطلب الأمير، فتذكر أنه كان من الممكن أن يستجب للأمر ببعض اللُقيمات..البسيطة(فنشأ صراع بين النفس الأمارة والنفس اللوامة)فقالت الأمارة: كُل من الطعام، وقالت اللوامة: كان يكفيك بعض اللقيمات.

ولنا هنا وقفة مع القلب:

مشكلة المسلمين هي القلب وليست الجوارح،لأن الكثير منهم استقامت جوارحهم على الطاعة أما القلوب فهي غافلة.

انظروا كيف كانت قلوب السلف وكيف كانوا يتعاملون معها؟

كان ابن الجوزي يُراقب قلبه وقد كان في حالٍ مع الله من لذة المناجاة والسعاة والأنس به،ولكنه عندما عاد إلى بيته بعد هذه الدعوة عاد وقد تغير حاله فتعجب لأنه كان في هذا الأمر كالمكره.

مَن يلحظ شيء كهذا من حال قلبه فإنه لابد أن يكون في حالة من المراقبة لقلبه شديدة جدًا ومن أجل هذا وصل هؤلاء إلى تذوق حلاوة الإيمان، فكان الواحد منهم يتعرض للجلد أو الحرمان من ماله أو أي أنواع الأذى ولكنه يظل قابضًا على دينه لا يُزحزحه عنه شيء فقد عرف الواحد منهم قدر هذا الدين ومدى عظمته وحلاوة مناجاة رب العالمين وقدر اتباع السُنة، أما نحن فإلى هذه اللحظة لم نصل إلى معرفة قيمة هذا الدين وبالتالي فإننا لا نقوم بالطاعة إلا بشق الأنفس ومن ثمَّ فليس هناك لذة، والنتيجة الحتمية لهذا ستكون أحد أمري:_

1_إما أن يتراجع الشخص عن الطريق لا يُكمل ما كان مُقدمًا عليه

2_وإما أن يستمر ولكن في جو من الكآبة،وهذا هو حال أغلب الملتزمين والملتزمات.

ولكن لمَ يشعرون بحالة الاكتئاب هذه؟

لأنهم لا يشعرون بالسعادة فقد تركوا الدنيا واتجهوا إلى الدين ولكنهم بالرغم من التزامهم لا يشعرون بالسعادة، ولو أنهم ساروا على الطريق بِخُطٍ صحيحة لشعروا بالسعادة.

فقالت النفس: ومن أين لي أن عين هذا الطعام حرام؟

وفي ظل هذه الحالة من المراقبة ومحاسبة النفس أراد أن يتحاور مع نفسه كي يجد المبرر لما قام به،فقال:مَن قال أن هذا الطعام حرام أليس من الممكن أن يكون حلالًا.

_فقالت اليقظة(النفس اللوامة):وأين الورع في الشبهات !

الشاهد: أن هناك صراع بين النفس اللوامة والنفس الأمارة وأيهما غلبت غلب واستحوذ وسيطر على الإنسان ودفعه في اتجاهه، والنفس اللوامة لو أنها انتصرت لأوصلت صاحبها إلى مرتبة النفس المطمئنة ولو أنها هُزمت فستسقط به في أسفل سافلين.

2_وإما أن هذه الشهوات تُضيع الوقت وفي إضاعته حسرة وندامة :

فكم من شهوات ضاعت فيها أوقات، فأوقات ضاعت في القيل والقال، وزيارات وخلافات ومشكلات ليس لها أيَّ داعي،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

" نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ "

أخرجه البخاري(6412)

- يقول غُبن:أي:خسارة شديدة جدًا(الشباب_الصحة_الفراغ)الكثير من المسلمين يحرقون الأوقات في الأسواق تارة وفي النوادي تارة وأمام شاشات التلفاز تارات وتارات، يتعامل الناس مع الوقت على أنه شيء ليس له قيمة، يظل الواحد إذا أراد الخروج من بيته أمام المرآة أكثر من ساعة (ويستوي الأمر عند الشباب والفتيات) حتى الشباب أصبحوا يفعلون ذلك، هذا هو حال الكثيرين، في حين أنه لو سئل إنسان وهو في قبره ماذا تريد؟ فإنه يقول :أرجعوني الدنيا كي أصلي ركعتين ثم ضعوني في قبري مرة أخرى.

الأعمار التي هي رأس مال العبد تُحرق بلا أدنى فائدة، وهذا يرجع إلى عدم الفهم لأصل القضية، فأكثر المسلمين اليوم ينظرون إلى الدين على أنه مجرد قشور(صلاة_صيام_حج_زكاة_ حجاب_لِحية).

وإذا قيل أن الدين يتضمن أمور أكثر من ذلك بكثير فإن السامع لا يطيق هذا الكلام ولا يتقبله وكأن الدين والالتزام هَمْ يُلقى على القلوب.

3_وإما أن الشهوات تسلب نعمة بقائها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة:

أعظم النعم التي تُسلب باقتراف الذنوب والمعاصي والانغماس في الشهوات المحرمة هي(لذة مناجاة الله) فلذة مناجاة الله عز وجل لا تجتمع أبدًا مع المعاصي في قلب إنسان، ولو وقع في قلب العبد لذة مناجاة الله وخُيِّر بين هذه اللذة في مناجاة الله وبين العالم كله بما،يه(أموال_أولاد_كل النعيم الموجود على الأرض) لاختار العبد الصادق لذة مناجاة الله سبحانه.

◘الدليل على صدق هذا القول هو: أحوال الصحابة:

انظروا إلى أحوال الصحابة رضي الله عنهم، فعندما علمهم النبي ﷺ العقيدة والدين عبدوا الله على الوجه الصحيح لأن الدين بالنسبة لهم كان أصول وليس قشور فكانت عبادة الله على بصيرة وليس تنفيذ للطاعة دون

ما تهدف إليه هذه الطاعة من إصلاح للقلوب، فلما تمكن الدين من قلوب الصحابة وتوغل فيها وثبت ورسخ في أعماق القلب جاءت ردود أفعالهم وفق ما رسخ في القلوب.

فما هو رد فعلهم عند تعرُّضهم لأشد أنواع العذاب والتنكيل بهم من قِبل الكفار؟

لقد لاقوا أشد ألوان العذاب لكنهم ثبتوا ...

◘بلال مؤذن النبي ﷺ لقد كانوا يخرجون به في الظهيرة التي تتحول الصحراء فيها إلى جهنم قاتلة، فيطرحونه على حصاها الملتهب وهو عريان، ثم يأتون بحجر مستعر كالحميم ينقله من مكانه بضعة رجال، ويلقون به فوق جسده وصدره.

ويتكرر هذا العذاب الوحشي كل يوم،حتى رقّت لبلال من هول عذابه بعض قلوب جلاديه، فرضوا آخر الأمر أن يخلوا سبيله،على إن يذكر آلهتهم بخير ولو بكلمة واحدة تحفظ لهم كبرياءهم،ولا تتحدث قريش أنهم انهزموا صاغرين أمام صمود عبدهم وإصراره،ولكن حتى هذه الكلمة الواحدة العابرة التي يستطيع إن يلقيها من وراء قلبه،ويشتري بها حياته ونفسه،دون

إن يفقد إيمانه، ويتخلى عن اقتناعه،حتى هذه الكلمة الواحدة رفض بلال إن يقولها نعم لقد رفض إن يقولها،وصار يردد مكانها'أحد أحد يقولون له:قل كما نقول،فيجيبهم في تهكم عجيب وسخرية.

'إن لساني لا يحسنه'

ويظل بلال في على هذا الحال،حتى إذا حان الأصيل أقاموه،وجعلوا في عنقه حبلا، ثم أمروا صبيانهم إن يطوفوا به جبال مكة وشوارعها وبلال لا يلهج لسانه بغير: "أحد أحد"

وكان إذا جاء الليل يساومونه ويلكزه أمية بن خلف وينفجر غمّا وغيظا، ويصيح: أي شؤم رمانا بك يا عبد السوء.؟؟

واللات والعزى لأجعلنك للعبيد والسادة مثلاَ..

ـ صحابي آخر:خباب بن الأرت..

كان خبابًا من المستضعفين الذين عذبوا بمكة ليرجع عن دينه، فكانوا يوقدون النارثم يلقونه عليها، ثم يضعونه على الأرض ويعتلي رجل صدره، وكانت مولاته أم أنمار تأخذ الحديدة المحماة فتضعها على رأسه، فشكا ذلك إلى النبي محمد ﷺ فقال اللهم انصر خبابًا، فاشتكت مولاته

أم أنمار رأسها وكانت تعوي مثل الكلاب،فقيل لها اكتوي فكان خبابًا يأخذ الحديدة المحماة فيكوي بها رأسها.

يقول الشعبي:

«دخل خباب بن الأرت على عمربن الخطاب فأجلسه على متكئه، فقال:ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلارجل واحد.قال له خباب: من هو ياأميرالمؤمنين؟ قال: بلال.قال:فقال له خباب: يا أمير المؤمنين!ما هو بأحقَّ مني، إن بلالاً كان له في المشركين من يمنعه الله به ولم يكن لي أحد يمنعني؛ فلقد رأيتني يومًا أخذوني وأوقدوا لي نارًا، ثمَّ سلقوني فيها، ثمَّ وضع رجل رجله على صدري،فما اتقيت الأرض-أو قال:برد الأرض- إلا بظهري، ثمَّ كشف عن ظهره فإذا هو قد برص).

وفي رواية عن الشعبي كذلك قال:

«سأل عمر رضي الله عنه بلالًا عمَّا لقي من المشركين؟فقال خباب: ياأمير المؤمنين، انظر إلى ظهري. فقال عمر: ما رأيتُك اليوم.قال: أوقدوا لي نارًا فما أطفأها إلاوَدَكُ ظهري"

حَدَّثَنَا بَيَانٌ، وَإِسْمَاعِيلُ،قَالاَ:سَمِعْنَا قَيْسًا،يَقُولُ:سَمِعْتُ خَبَّابًا،يَقُولُ:أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺوَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً،وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً،فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ،فَقَعَدَ وَهُوَ

مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ»، زَادَ بَيَانٌ: «وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ»

أخرجه البخاري(3852)

لم يطلب خباب بن الأرت من النبي ﷺشيئًا سوى أن يدعو له فأعطاه النبي ﷺدرسًا في اليقين، علَّمه أن الإنسان إذا قدم التضحية لله فلا يطلب مقابل في الدنيا، لأن العمل لله عز وجل إذا أراد صاحبه مقابلًا له فإن هذا يعني أنه يرى أن عمله يستحق المُقابل...

(وهذا في حد ذاته إعجاب يُحبِط العمل).

_على الإنسان دائمًا أن ينظر إلى العمل على أنه محض توفيقٌ من الله ولولا ذلك لما استطاع العبد أن يقوم به، كما أن عليه أن يحمد الله على التوفيق لا أن ينتظر الأجر، فحين يصلي يحمد الله على أنه أعانه ووفقه للوقوف بين يديه ليصلي، وحين يُخرج الصدقات يحمد الله على أن مكَّنه وأعانه ونصره على نفسه فأخرج من ماله مع أن غيره شحيح، إذن النعمة والعمل يتطلبان الشكر لا انتظار الأجر والعطاء.

_فَهِمَ الصحابة ذلك، ولهذا فقد جاء رد النبي ﷺليُخبر عن حال مَن كان قبلهم وما حدث لهم من ابتلاءات في الدين، ثم نزلت الآيات ....

قال تعالى:

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)}[البقرة]

الشاهد:علَّم النبي ﷺ صحابته معنى الإيمان والمناجاة كما علمهم معنى حب الله ورسوله ﷺ، وما هي الجنة الغالية التي لا يعرف الكثير قيمتها، وعندما تعلموا هذه المعاني رسخ كلٌ من العقيدة والإيمان في الأعماق.

_ومَن ترسخ هذه المعاني في قلبه فإنه لا يرده عن دينه شيء، فمنهم مَن عُرِضَ عليه كل شيء ولكنه لم يقبل **مثل:**

[كعب بن مالك رضي الله عنه]

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ،قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ،قَالَ:سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ، تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ،

فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ،فَقَالَ لِي:

«مَا خَلَّفَكَ،أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ»

فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللهِ، لَئِنْ لَقَدْ عَلِمْتُ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لاَ وَاللهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ».

فَقُمْتُ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ،إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ:مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ،فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا:وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا.

.وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ:

{لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ} [التوبة: 117]

إِلَى قَوْلِهِ {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119]

فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلاَمِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ،أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} [التوبة: 118]. وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ"

أخرجه البخاري(4418)، أخرجه مسلم(2769)

الشاهد:وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا،وَلَكِنِّي وَاللهِ، لَئِنْ لَقَدْ عَلِمْتُ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي،لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ،انظروا :

كيف تكون المراقبة؟

ومتى تكون؟

فإذا أراد العبد أن يعرف أين قلبه فليبحث عنه وقت الشدة ؟

فالإنسان يمكن أن يُراقب الله عز وجل ساعة الرخاء فهذا أمرٌ سهل،

ولكن من الصعب أن يُراقبه وقت الشدة.

كان كعب بن مالك في موقف شديد الصعوبة فقد عصى النبي ﷺ وهو لا يعرف نتيجة فعلته هذه_ وكانت لديه القدرة على إقناع النبيﷺ بما سيقوله_ولكن عقيدته منعته من أن يكذب على النبي ﷺفيسمعه ربه من فوق سبع سماوات ويغضِب عليه.

عدم رسوخ هذا المعنى في القلوب اليوم ادى إلى أن الكثير من المسلمين لا يستشعرون حلاوة الإيمان لأنها ذهبت من القلوب.

قال كعب للنبي ﷺ"ليس لدي أي عُذر غير أني ركنت إلى الدنيا"

وقفة مع القلب

وفي أثناء هذه المحنة التي يتعرض لها كعب، إذا بفتنة أخرى تُحاول إغراءه، فقد أرسل إليه ملك غسان برسالة فاعتبرها ابتلاءٌ آخر،ولنتخيل إحساس إنسان منبوذ من أهله وعشيرته وأحبابه وأصحابه ويعلم أن رسول الله غاضبًا عليه فيعتصر قلبه وتتحسر نفسه من شدة ما يتعرض له وفي نفس التوقيت يُعرض عليه المُلك في مكانٍ آخر فكيف يكون الرد؟ تلك القلوب تربت على الوجه الصحيح فقد رفض مالك العرض بل وأحرق الرسالة.

الشاهد:أن هذه القلوب كان يملأها اليقين على أن المعصية لا تُورِث إلا الذُل والمهانة والألم وسلب أجمل اللذات وهي لذة مناجاة الله عز وجل.

4___من عقوبات المعاصي: نسيان العلم

من الأسباب التي تجعل الشخص يصبر عن المعصية وأن لا يقع في الشهوة هو معرفة أن المعاصي تُنسي العلم، وقد ينال العلم ولكنه لا ينتفع به.

قال تعالى:

{فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13)}[المائدة]

ب_ إرادة تستدرك الغفلة

قد يظل الإنسان في غفلته فترة من الزمن فهو يعرف أنه يرتكب المعاصي،ثم تاب إلى الله سبحانه_وعرف الحلال والحرام_ وحضر مجالس العلم فعلم عواقب الذنوب والمعاصي التي وقع فيها،فلو أنه حقق عبودية الإخبات وأحاطت هذه العبودية بقلبه وإرادته فما الذي سيحدُث؟ سيجد نفسه تلقائيًا يُحاول استدراك هذا وسيتولد في قلبه حُزن وسيسعى كي يفيق من هذه الغفلة وحتى يستغل ما بقيَّ من حياته في السير إلى الله سبحانه فهو لا يدري كم من الوقت سيعيش،إذن يحتاج الإنسان إلى إرادة يستدرك بها غفلة القلب عن الذنوب، وغفلة العقل عن الخطر العظيم الذي هو فيه، وهذا الاستدراك يؤدي إلى حالة من اليقظة الدائمة لأن المُخبت يكون في حال اليقظة والمراقبة لنفسه دائمًا.

▪نصيحة:

إذا عرض للإنسان أمر من أمور الدنيا يمكن أن يحول بينه وبين الوصول إلى الله عز وجل فعليه أن يضع أمام عينيه مقولة يمكن أن تجعله يتراجع عن هذا الأمر ويصبر على عدم تحقيق مناله.

[هذا هو ما أعد العباد للعباد فما بالنا بما أعد رب العباد للعباد]

ألم يقل الله عز وجل:

{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17)}[السجدة]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ»

أخرجه البخاري(3244)،أخرجه مسلم(2824)

3_محبة تهوي بالسلوة وتُسقطها (علامة المحب الصادق)

الكل يدَّعي محبة الله سبحانه ومحبة رسول الله ﷺ،فما من أحد يُسأل عما إذا كان يُحب الله ورسوله إلا ويُسارع إلى الإقرار بهذه المحبة حتى لو كان مُدَّعي المحبة من العُصاة.

▪هناك نوعان من المحبة:

1_محبة عقلية

2_محبة روحية.

1_المحبة الروحية:

توجد عند كل مسلم، فما من أحدٍ من المسلمين يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ولا يُحب الله ورسوله حتى لو كان يتقلب في المعاصي ومهما كانت منزلته من الحقارة،ومَن لا يحب النبي ﷺ فهو منافق كافر، هذه المحبة تكون بالفطرة عند المسلمين ومن هذه الجزئية ينقض الشيطان على الإنسان ليستدرجه ويُسقطه وهو غافل عن هذا الاستدراج، وينبغي عليه أن يفيق ويُراجع حساباته.

انتبهوا :لأن المحبة الروحية التي يشعُر بها الجميع لا تُنقذ أحد ولا تكون سبب في إدخاله الجنة،ولكنهم يحتاجون إلى المحبة العقلية.

المحبة العقلية هي التي ذُكِرت في كتاب الله قال تعالى:

{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)}[آل عمران]

المحبة العقلية هي التي تُنقذ صاحبها وتُدخله الجنة، هذه المحبة تتمثل في اتباع أوامر الله ورسوله ﷺ، فهذا هو الحب الحقيقي الصادق، والمحب الصادق لا يقوى قلبه على معصية محبوبه، فعلامة الحب تستوجب فعل كل ما يُقرِب الحبيب من محبوبه سواء بفعل ما يُحبه أو ما يأمر به،ولهذا سُميت هذه الآية بآية المحنة والاختبار والابتلاء فكانت اختبار للصحابة رضي الله عنهم.

لقد وصل الأمر ببعض الصحابة رضي الله عنهم أنهم لا يستطيعون أن يعصوا الله من شدة مراقبتهم للقلوب...

عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ:لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ،فَقَالَ:كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ:قُلْتُ:نَافَقَ حَنْظَلَةُ،قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ،يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ،حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ،فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ ،عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ،فَنَسِينَا كَثِيرًا،قَالَ أَبُو بَكْرٍ:فَوَالله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ،حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ،قُلْتُ:نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ الله فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ" أخرجه مسلم(2750)

حنظلة لم يرتكب إثمًا ولكنه لاحظ اختلاف حال قلبه وهو بين يدي النبي ﷺيسمع عن الله وعن الجنة والنار،عن حاله وهو في بيته مع أولاده وزوجته ومباشرة تجارته، فالأمر مباح.

المؤمن سجين في الدنيا فهو مُراقب لقلبه وجوارحه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»

أخرجه مسلم(2956)

والسجن يشمل سجن القلب وسجن الجوارح،فسجن القلب عن الالتفات لغير الله وسجن الجوارح عن معصية الله.

ذكروا أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة مر يوما بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار وأثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة فقبض على لجام بغلته وقال يا شيخ الإسلام تزعم أن نبيكم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فأي سجن أنت فيه وأي جنة أنا فيها فقال أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن وأنت بالنسبة لما أعد لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في جنة فأسلم اليهودي(فيض القدير).

الشاهد: أن الإنسان المؤمن مهما كان نعيمه في الدنيا فإنه لا يُساوي نعيم الآخرة والكافر مهما كان عذابه في الدنيا فإنه لا يساوي عذاب الآخرة.

ولو كانت الدنيا تُساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء كذا قال رسول الله ﷺ، فعلامَّ التقاتل والتصارع وارتكاب المعاصي.

الدرجة الثانية للإخبات:

أن لا ينقض إرادته سبب ولا يُوحش قلبه عارض ولا يقطع عليه الطريق فتنة.

أ_أن لا ينقض إرادته سبب:

النقض هو: الرجوع عن إرادته والعدول عن جهة سفره.

شخص عزم على أن لا يركن للغفلة ولا لدنيا، وعرف أن الدنيا قصيرة وشأنها حقير يسير،ولا تستحق كل هذه الصراعات والمشاحنات والقتال،بعد هذه اليقظة لابد أن يتحلى بإرادة لا ينقضها سبب من أسباب التخلف

فنحن مُقدمين على أيام يجب أن تُستغل كل دقيقة فيها لأداء الطاعات، وشهر فيه عِتق من النار، وجنة عرضها السماوات والأرض تُفتح أبوابها في مثل هذه الأيام.

ولكن ما هو السبب الذي قد يؤدي إلى نقض الإرادة وضعف العزيمة ؟

قد يكون (حب شيء_ شهوة تعرض_ فتنة دنيا) كل هذه عوارض تستوقف مَن لديه قوة عزيمة وقوة إرادة وتُضعف هذه الأشياء عنده فبعد أن كان يسير على الطريق وملتزم به ويريد أن يعلو ويخطو خطوات في سبيل ذلك أتت هذه الأشياء فاستوقفته، أما المخبت فإن هذه العوارض لا تمنعه بل ليس هناك أي شيء يمكن أن يُضعِف من إرادته بعد أن استيقظ من غفلته.

ملحوظة: بعض الناس يظل في طاعة الله مادام في رغد من العيش ومن غير ابتلاءات فإذا ما جاءته ابتلاءات فإنه يسقط وهذا هو بعض العبد (فإن أعطي رضي وإن مُنع سخط)،أما العبد الطائع فهو عبد الله في جميع أحواله، إذا أعطاه حمده على فضله ونعمائه،وإن منعه فله الحمد لأنه هو الحكيم، فعطائه بحكمة ومنعه بحكمة كما أن أفعاله كلها حكم،كل عطائه مَنْ، وكل منع له حكمة قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها.

لابد من الفهم عن الله وفهم أسمائه وصفاته فيسير الإنسان إلى الله بقلب حي مدرك متخلي عن غفلته وفي حالة يقظة وهذا النوع لا يُوقفه شيء.

نصيحة: مَن أراد أن ينال ما يتمنى في الدين من العلو والوصول إلى الجنة، ومهما عُرِضَ عليه من فتن الدنيا لا يسقُط فعليه أن يقوم بأمرين :

1_البُعد عن أهل الباطل(اعتزال أهل الباطل) .

2_إدمان النظر في سير السلف الصالح(أعظم علاج للقلوب).

الصحابي الجليل أنس بن النضر:لم يحضر غزوة بدر...

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ: غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺالْمُشْرِكِينَ لَئِنِ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالاً لَلْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ كَيْفَ أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ:

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلاَءِ، يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ،وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، يَعْنِي أَصْحَابَهُ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَلَقِيَهُ سَعْدٌ فَقَالَ: يَا أَخِي،مَا فَعَلْتَ أَنَا مَعَكَ،فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْنَعَ مَا صَنَعَ، فَوُجِدَ فِيهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ بَيْنَ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ،فَكُنَّا نَقُولُ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ نَزَلَتْ

{فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ}قَالَ يَزِيدُ يَعْنِي هَذِهِ الآيَةَ.هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَاسْمُ عَمِّهِ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ."

سنن الترمذي(3201)

الشاهد:عدد الطعنات والضربات بضع وثمانون، كل هذا ولم يتراجع بل أن العدد لم يزد عن هذا لا لشيء إلا لأنه مات، لقد علم أن الله يراه من فوق سبع سماوات فأراد أن يطلع عليه وهو يبلي في سبيله بلاءً حسنًا عسى الله أن يعفو عنه، أراد بفعله هذا أن يتودد إلى الله عز وجل،ولقد مُثِل بجثته فما عرفه أحد إلا أخته الربيع بنت النضر ببنانه.

الصحابي الجليل عمرو بن الجموح

عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، قَالُوا كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنِينَ شَبَابٌ يَغْزُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺإِذَا غَزَا، فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَتَوَجَّهُ إِلَى أُحُدٍ، قَالَ لَهُ بَنُوهُ:إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً فَلَوْ قَعَدْتَ فَنَحْنُ نَكْفِيكَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجِهَادَ. فَأَتَى عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ رَسُولَ اللهِ ﷺ،فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّ بَنِيَّ هَؤُلَاءِ يَمْنَعُونَ أَنْ أَخْرُجَ مَعَكَ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُسْتَشْهَدَ فَأَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ.

فَقَالَ له رَسُولُ اللهِ ﷺ" أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجِهَادَ ".

وَقَالَ لِبَنِيهِ: " وَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَدَعُوهُ لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ " فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا"

السنن الكبرى للبيهقي(17821)

الرجل أعرج أي ليس عليه حرج،كبير السن،وقدم أبنائه الأربعة للجهاد وقال له النبي ﷺ أن الجهاد قد وضع عنه ومع ذلك يريد أن يطأ الجنة بهذه الهيئة..

فأي تودد هذا ؟ وأي تملُّق؟ انظروا كيف كانت القلوب ؟ وبأي شيء كانت مُتعلِقة؟ وما هي الأهداف التي كانت تسعى لنيلها؟

ب_ولا يُوحش قلبه عارض

فلا تُفسد العوارض على الإنسان قلبه، فما هي العوارض؟

_والعارض هو المخالف. كالشيء الذي يعترضك في طريقك.فيجيء في عرضها. ومن أقوى هذه العوارض عارض وحشة التفرُّد. فلا يلتفت إليه

_قال بعض الصادقين: انفرادك في طريق طلبك دليل على صدق الطلب

قال آخر: لا تستوحش في طريقك من قلة السالكين ولا تغتر بكثرة الهالكين.

فعندما يريد الشخص أن يسلك الطريق إلى ربه فيسير على طريق الحق فإن الشياطين على اختلاف أنواعها(إنس_جن) لا تتركه.

فالبعض ممن حوله من الإنس لا يُرضيهم أنه تركهم وابتعد عنهم نتيجة التزامه _إلى جانب النفس الأمارة بالسوء_ والشيطان يعمل على تحقيق قسمه بأي طريقٍ كان{ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82)}[ص]،

_فالسائر على الطريق دائمًا ما تعترضه عوارض وأصعب عارض يمكن أن يعرض للإنسان وهو يسير في طريق الالتزام على الوجه الصحيح أنه سيجد نفسه وحيدًا مُنفردًا، هذا التفرد له وحشة وهذه الوحشة قد تؤدي إلى ضعف الإنسان وجعله يتراجع بعد أن اتخذ القرار بالمُضي على الطريق الصحيح امتثالًا لأوامر الله واتباع لهدي النبي ﷺ،المُحب الصادق والمخبت لا يستوحش بالتفرد لماذا؟

لأن أُنسه بالله يمنعه من الشعور بالوحشة...

_فما معنى الأُنس بالله؟

من سُنن الله الكونية ونعمه على عباده أنه يُعطي الإنسان الذي ترك شيئًا ابتغاء مرضاته أضعاف أضعاف ما ترك كذا قال رسول الله"

◘مثال:مَن يستغنى عن الصحبة السيئة لإرضاء الله يُبدله الله سعادة وأُنس بالله أضعاف أضعاف من الذي لم يكن ليجده مع كل البشر لو اجتمعوا معه لأن الراحة مع البشر ليست مستمرة فقد تحدُث مشكلة كبيرة بين اثنين فيتفرقا وقد كانا من أقرب المقربين لبعضهما البعض، أما الأنس بالله فليس الأمر كذلك، المستأنس بالله دائمًا يكون في إرتقاء وعلو بعد علو

ج_ولا يقطع عليه الطريق فتنة.

فالفتن تُعرض على القلوب سواء شهوات أو شبهات، فأحيانًا يلتزم شخصٍ ما ثم يُرزق بابتلاء معين فيسقط في لحظة أي أنه يتراجع عن الطريق الذي كان يسير فيه؟

فما هي علاقة الابتلاء بالتراجع؟

وهذا هو ما قصدناه في أول اللقاء عندما تحدثنا عن الشخص الذي يعمل وينتظر المقابل من الله فإن لم يُعطه فإنه يتراجع عن العمل وهذه ليست صفة الإنسان المخبت، لأن الذي ينتظر المقابل إنسان لا يعرف الإخبات ولا صلاح القلب.

_أما القلب السليم المخبت المحب لله المملوء بالوجل والتعظيم لله سبحانه وتعالى لا يستطيع مطلقًا أن يتجرأ على الله بالمعصية فضلًا عن أن يرتد عن طاعة يقوم بها.

◘الشُبهات أيضًا قد تعرض على الإنسان، وطالب العلم المبتدأ لا يصح أن يُشاهد القنوات التي تعرض الشبهات لأنها قد تضرب قلبه وكذا شبكات التواصل الاجتماعي، الشهوات والشبهات يمكن أن تضرب قلب العبد وهو غافل عنها.

_فبعد أن تقدم على الطريق وأصبح من المخبتين فانتصر على الشهوة وترك رغد العيش وعقله وقلبه مُعلقان بالله تأتيه شُبهة فتفسد عليه كل الخطوات التي سبق له اجتيازها.

_الدرجة الثالثة:

يستوي عنده المدح والذم،وتدوم لائمته لنفسه، ويعمى عن نقصان الخلق عن درجته

أ_يستوي عنده المدح والذم :

هذه الجملة لها وجهان :

1. أحدهما(صوفي).

2. والآخر(على منهج أهل السنة).

الصوفية : يقولون بها ولكن ماذا تعني عندهم؟لو أن شخص سب شخص آخر فإنه يضحك ولا يغضب لذلك، ولو امتدحه فإنه يضحك فَرَدْ فعله لا يختلف (هذا الأمر يُقال على صاحبه أنه أبله أو سفيه).

فقد كان النبي ﷺيستنير وجهه عند سماع الخبر السارويضحك ويستبشر،وعند سماع خبر سيء أو يُغضبه أحد فإنه يتمعر وجهه ويظهر عليه الانفعال.

_أما عند أهل السُنة والجماعة فإنه يعني:

إنسان عمل عملًا لله عز وجل فإن مدحه أحد على عمله فلا يَزِدْ فيه نتيجة لذلك، وإن ذمه أحد على هذا العمل فلا يتركه أيضًا نتيجة لذلك.

مثال:ذهب رجل إلى مكان لكفالة الأيتام ليُقدم الصدقات فعلِمَ أصحابه بهذا الأمر فأثنوا عليه ببعض الكلمات الطيبة،هذا الثناء لا يجعله يزيدُ من عمله إن كان مُخلصًا ولو حدث العكس لما كان العمل لله أي لو زاد في عمله.

وفي المقابل لو أن شخصًا عمل عملًا ثم ذُمَّ عليه فإنه لا يتركه إن كان يتركه لله

مثال: المرأة التي ترتدي النقاب امتثالًا لأمر الله واتباعًا لرسول الله ﷺ واقتداءً بأمهات المؤمنين، فإن انتقدها المحيطين بها فإنها لا تخلع النقاب لأنها ارتدته طاعة لله وليس انتظارًا لمدحٍ أو ذم.

إذن المخلص عند أهل السنة والجماعة هو مَن لايزد ولا ينقص من عمله نتيجة المدح أو الذم وهو المقصود بتساوي المدح والذم عند أهل السنة والجماعة.

ب_ وتدوم لائمته لنفسه

لقد أقسم الله سبحانه في القرآن بالنفس اللوامة، قال تعالى:

{ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2)}[القيامة]

فهي نفس محبوبة إلى الله وذات قيمةً عنده لأنها دائمًا توجه اللوم إلى صاحبها حتى على الطاعة(لأن صاحبها لم يقم بالطاعة على الوجه الأكمل)وفي المعصية تلومه على عِصيانه لله سبحانه.

فمِن علامات الإنسان المخبت أن نفسه اللوامة دائمًا تُلازمه فعند المعاصي اللوم الشديد وعند الطاعة يكون العتاب الرقيق حتى يُحسِن عمله

وعنوان الفلاح والنجاح والسعادة يكمن في مداومة اللوم للنفس، وما ضل ضال وما بعُد أحد عن الطريق وما زلَّت قدم عاصي في معصية إلا بعدم المراقبة وعدم وجود النفس اللوامة، فالنفس اللوامة تجعل من المستحيل على صاحبها أن يستمر في المعاصي الظاهرة أو الباطنة،وقد تكون المعاصي الظاهرة أسهل بكثير من المعاصي الباطنة فهي أخطر ما يُهدد حياة العبد الدينية فتعوق صاحبها عن الوصول،وتكون حركته بطيئة، فنجد البعض ممن يحضرون الدروس ويسمعون العلم تمُر عليهم سنوات وسنوات ولا يتقدمون خطوة واحدة فلماذا؟

علينا أن ننتبه إلى أن مَن لا يزد ويتقدم فإنه في نُقصان لأن الثبات ليس واردًا في هذا المقام، والزيادة والنقصان المقصود هو فيما يخُص أعمال القلوب(إخبات_ إنابة _محبة_اليقين_الإقبال على الله_المحاسبة _المراقبة_الولاء والبراء)

ج_ ويعمى عن نقصان الخلق عن درجته

نحن في أشد الحاجة إلى الالتزام بهذا العُنصر، ويا ليتنا نلتزم به، فلا ينظر أحد لغيره على أنه أقل منه فيما يخص الدين، النظر إلى الغير ورؤية أفضليته عليه يُصنف على أنه مرض(العُجب)يحتاج إلى علاج بالإضافة إلى أن

الظاهر ليس بمقياس للتقييم، فقد يكون لدى الشخص العلم والفهم وطاعات كثيرة ولكن ما هو قدره عند الله سبحانه تلك هي القضية فكل شخص يخطو خطوة في الدين ينظر إلى مَن هو دونه على أنه أقل منه وهذه ليست علامة المُخبت.

◘فالمخبت قلبه وجل،مُعظِّم لرب العالمين،خائف من أن يكون أول مَن يُعذب وأول مَن يدخل النار فهو مُنشغل عن رؤية عيوب الناس بعيوب نفسه، يريد أن يعرف كيف يُصلح نفسه ويزيد من تقواه،وأين قلبه؟

وهل سيمتد به العُمر إلى أن يصل إلى إصلاح نفسه؟

وما هي أمراض القلوب التي أصابت قلبه؟

كل هذه الأمور غفل عنها الكثير من المسلمين وأصبحت أمور لا تعنيهم ،ولهذا فإنهم يُسيئون لأنفسهم وفي نفس الوقت يجد الناظر إليهم أنهم صورة سيئة للدين فهم يصدون الناس عن سبيل الله.

الإنسان إذا وصل إلى درجة الإخبات فإنه ينظر إلى مَن حوله على أنهم أفضل منه وهو الأدني في المرتبة،تلك علامة القلب السليم لأنه لا يعرف درجته عند الله؟كما أنه لا يعرف بما سيُختم له ؟

كيف يستطيع الإنسان أن يرى نفسه أقل ممن حوله في حين أنه أكثرهم عملًا وطاعةً وامتثالًا لأمر الله ؟

1_أن يرى مشهد المِنَّة وأن ما هو فيه هو محض فضل من الله :

{ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (53)}

[النحل]

قال تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(21)}

[النور]

فكسر العجب والغرور في النفس البشرية يكون بإرجاع الفضل لله سبحانه وتعالى على توفيقه للقيام بالعمل الصالح.

2_أن لا يأمن مشهد المكر فهو لا يدري على أي شيء يموت قد ينظر العبد فيرى مَن حول وهم يتقلبون في المعاصي وهو وحده السائر على الطريق فتُحدثه نفسه ودون أن يتكلم بهذا أنه أفضل من الجميع (هذا مدخل شيطان ليُفسد علاقة العبد بربه)فلماذا؟

لأنه لا يأمن مكر الله، فهو لا يعرف بما سيُختم له

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:

" لَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَا يُخْتَمُ لَهُ فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمُرِهِ أَوْ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا سَيِّئًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ قَبْلَ مَوْتِهِ زَمَانًا مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّءٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ لَدَخَلَ النَّارَ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ؟قَالَ:يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ "

الاعتقاد للبيهقي

إنما الأعمال بالخواتيم، ولا يدري أحد بما سيختم له، فلا تنظروا لأهل المعاصي على أنهم لا سبيل لهم إلى التوبة والرجوع إلى الله سبحانه، هؤلاء تغلَّب عليهم الشيطان فأوقعهم فلا تتعاونوا مع الشيطان عليهم.

إنكار المنكر أمر لابد منه وكذلك محاولة الإصلاح ولكن بالحُسنى،فإذا شعر الإنسان بفضل الله ومنته وأنه لا يأمن مكر الله وبما سيُختم له هنا تنكسر النفس وتتأدب مع خالقها وبارئها ومولاهاوتشعر بالذل والانكسار والتواضع، يبدأ في البحث عن كيفية إصلاح مَن حوله ويكون همه إخراج هؤلاء من الظلمات إلى النور وإدخالهم الجنة.

أسأل الله أن ينفعنا بما علمنا ويُعلمنا ما جهلنا

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك...